ISSN:1112 -8658

E-ISSN: 2602-7259

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية باللغة العربية وباللغات الأجنبيّة، كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

مجلد: 2 عدد: 1 شهر جوان سنة 2009

العنوان: القراءة بين التعدد و الأحادية

القراءة بين التعدد و الأحادية

د.منصور مهيدي

جامعة ابن خلدون–تيارت-

ملخص:

من المعلوم أن الدراسات الأدبية كانت في مرحلتها الأولى منصبة أساسا على عنصر المؤلف لما له من أهمية قصوى في تفسير النصوص والأعمال الأدبية،وهكذا شكل المؤلف قطب نقطة تقاطع مجموعة من الدراسات والمقاربات ذات المنحى السياقي (النفسيوالاجتماعيوالتاريخي)،حتى ترسّخ في الأذهان ما يمكن تسميته بـ: «**سلطة المؤلف**».

أمّا المرحلة الثانية،فقد عرفت تحولاً في المسار النقدي في اتجاه ترسيخ سلطة أخرى على غرار سلطة المؤلف، وهي "**سلطةالنصّ**"،حيث كان الإعلان عن موت المؤلف من قبل أقطاب البنيوية إيذاناً بتحرر الفكر النقدي من سطوة المتكلم وبالتالي الولوج إلى مسرح الكلام، وهو الإعلان عن تحول وجهة النظر من الناطق بالنص إلى النص بذاته أو من ناسخ القول إلى نسيج القول[1].

أمّا المحطة الثالثة، فعرفت فيها الدراسات الأدبية تحولا نوعيا في اتجاه إرساء دعائم التأويل من خلال الاهتمام بدور التلقي الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من كل عملية تأويل، و نال القارئ فيها حقه ، حين أصبح النص يتوجه إليه ، باعتباره الموجود الوحيد والحكم الفصل،و هو الكاتب الجديد للنص والمفترض دائما .

[1]ينظر عبد السلام المسدي، اللسانيات، وإبستيمية النقد، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ع 32،مارس1997،ص:19.

والإشكال الذي أردنا طرحه من خلال هذا المقال المتواضع هو: هل القراءة وفاء لقصدية الكاتب أم حرية وتعدد واختلاف من لدن القارئ؟ وهل يصبح حقيقة القارئ الكاتب والمبدع الجديد للنص ؟ وهل يمكن قراءة النص بمعزل عن الفهم والتأويل؟ وكيف يجري فعل القراءة ؟ وهل يلتقي القارئ في النص بذاته أم هو يقرأ ذاتا أخرى.

هذه بعض الأسئلة التي أثرناها ، وسأجتهد في الإجابة عنها ، وأحاول وضعها في إطارها النظري ،وان كانت لا تقبل أحادية الطرح ،وفردانية التوجه ،بل ستظل في ارتباطاتها الجدلية ،وتشعباتها المنهجية ،أقرب للدرس الفلسفي .

1. تطور مفهوم القراءة :

1. 1. القراءة لغة:

القراءة- لغة-هي الجمع و الضم والإلقاء ،وكما جاء في لسان العرب لابن منظور معنى مادة "قرأ"مايلي : [1]قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عن الزجاج، قَرْءاً وقِراءة وقُرآناً، الأُولى عن اللحياني، فهو مَقْرُوءٌ.

وقِراءة منْ قرأَ: يَكادُ سَنَى بَرْقِهِ يُذْهِبُ بالأَبْصار، أَي تُنْبِتُ الدُّهنَ ويُذْهِبُ الأَبصارَ.

وقَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلى بعض. ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلىً قَطُّ، وما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ، أَي لم يَضْطَمّ رَحِمُها على ولد.

قال، وفيه قول آخر: لم تقرأْ جنيناً أَي لم تُلْقه.

1. 2. القراءة في القرآن الكريم:

إنّ لفظ القرآن، بمعنى الكتاب المنزل من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم «سمي بالقرآن لأنّ الأصل في هذا المعنى، هو"الجمع" وكل شيء جمعته، فقد قرأته، وسمي القرآن لأنّه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور، بعضها إلى بعض [2]،وهو مصدر كالغفران والكفران، ولفظ "القرآن" في الكتاب

---

[1]ابن منظور،لسان العرب،تحقيق :عامر احمد حيدر،عبد المنعم خليل إبراهيم ،دار الكتاب العلمية،المجلد 19،ط:01،2003، ص:129،المادة قرأ. ،

[2]عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة.، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ط: 01، 2003،ص:13

المنزل بمعنى القراءة فيما ورد في الآية: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾[1].

أمّا في النصوص القديمة ورد لفظ قرآن بمعنى المعرفة، و العلم، والخير، والهدى والإيمان، وإذا كانت القراءة في أصل سورة العلق وردت بمعنى سرد الوحي، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾.[2]

ولقدحظيت القراءة في الفكر العربي القديم بمنزلة مهمّة ،وتزايد الاهتمام والعناية بالمقروء والمكتوب كلما تقدمت العصور، ووجدت المتون المدونة في عصر ما قبل الإسلام بَيدَ أنّ ظهور الإسلام فجّر طاقات جديدة وأوجد فضاءات واسعة للقراءة.

1. 3. القراءة عند الغربيين:

لو تقصينا الفلسفة اليونانية، وتاريخ آدابها ، نجدها لا تقصي القارئ ،بل جعلته من ضرورات اهتمامها، وهذا ناتج عن التداخل الكبير بين الفلسفة والأدب الذي يصعب فك عراه، على الرغم من اشتغالهما في حقول دلالية مختلفة و في مجالات مغايرة فلم يكن الفلاسفة منذ أفلاطون و أرسطو بمعزل عن الأدب بل أنهم ساهموا في صياغة نظرية للأدب.

وليس من الغريب أن يكون مفهوم القراءة على قدر كبير من التعقيد وهذا ما أثبته تزفيتان تودوروفحين قال :«إنّ فعل القراءة أمر مفروض في البديهة ، حتى يبدو في الوهلة الأولى أنه لا يمكننا أن نقول فيه شيئاً»[3]

و مفهوم القراءة عند الغربيين تجاوز التعريف البسيط والسطحي ،وهذا ما نلتمسه في مفهوم القراءة عند وليم راي حين قال :«تعرف القراءة بأبسط مستوى البديهة الشخصية على أنها دمج وعينا بمجرى النص»[4]، مما جعله اليوم يكتسي مفاهيم عديدة ،

---

[1] القيامة: 17.
[2] العلق،1،2،3،4،5.
[3] Todorov ,tzfitan ,la lecture comme construction ,don les genres de discouR ,paris,seuil ,1978,poetique,p86
[4] محمد المبارك، استقبال النص عند العرب،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، المركز الرئيسي ، بيروت ط 1 ، 1999 ، ،ص:164.

منه "النقد"، فيقال في دراسة الاعمال الأدبية (قراءة تاريخية) أو(قراءة نفسية) أو(قراءة بنيوية) أو (قراءة سيميائية).

وأصبح من العسير تحديد مفهوم مشترك لمصطلح "القراءة" الذي تقترن دراسته بالتلقي ،ولم يستطع نقاد استجابة القارئ و منظرو المصطلحات ذات المدلولات الجديدة إعطاء له مفهوما واضحا، و ذلك راجع لأنّ "القراءة" كما يرى كثير من النقاد عملية معقدة و شائكة ،هي تشبه تعقيد إنتاج أو إبداع النصوص الأدبية.

وليست القراءة المقصودة ،هي القراءة التي يعرفها العوام،ذلك الفعل البسيط الذي نمرر به البصر على السطور،و ليست هي أيضا القراءة التقبلية التي يكتفي القارئ فيها عادة بتلقي الخطاب تلقياً سلبياً،معتقداً أنّ معنى النص قد صيغ نهائيا و حدد، و لم يبق إلاّ العثور عليه كما هو ،أو كما كان في ذهن الكاتب، إنّ القراءة المقصودة هي القراءة النقدية ،« التي تسعى الى إخراج النصّ من الظّل ،لتبعث فيه النور والحياة، حيث يمارس القارئ غوصا اكتشافيا في مغارات هذا الكائن اللغوي ، فيندمج بمجرى النص ،إنه نص لا يعرض أسراره لكل زائر ، فالنص الممتاز كما يراه بارت يبدو وكأنه نسيج من الفضاءات الفارغة التي تتطلب باستمرار من يملؤه»[1].

وعليه لم تعد القراءة نشاطا عقيما، بل أضحت«مفهوما جامعا لكل الأنشطة الإبداعية و الفكرية التي تثمرها النصوص الأدبية التي نمارس عليها قراءة ما ،و هي النشاط التي يضطرب من حولها – إنما تمارس على كل ما هو إبداع و تتمخض لكلِّ ما هو فن جميل»[2]وهذا ما أشار اليه حسين الواد حين قال :« إن القراءة فعل خلاق يقرب الرمز من الرمز ، ويضم العلامة الى العلامة ،وسير في دروب ملتوية جدا من الدلالات ، نصادفها حينا ونتوهّمها حينا ، فنختلقها اختلاقا»[3].

وهذا ما دلّنا عليه ايكو باعتباره أن القراءة « تعمل على تنشيط النص الذي يعتبر كتلة مجرة ،تحتاج إلى قارئ نموذجي " un lecteur modéle" يفعل في التوليد مثلما فعل الكاتب في البناء والتكوين، ويكون قادراً على تحيين " actualisation"النص بالطريقة التي

[1]محمد بن أحمد جهلان ،فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القراني ، دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا، ط1،2008ص49
[2]محمد المبارك، استقبال النص عند العربص:15.
[3]الواد حسين ،في مناهج الدراسات الادبية ،منشورات الجامعة التونسية ،كانون الثاني ،عام 1984،ص86

كان يفكر بها الكاتب »[1]، ولتحديد أوّليات القراءة النشيطة يطرح ايكو ثلاث مقولات هي: الموسوعة " l'encyclopédie"، الطوبيك " le topic"، والعالم الممكن " le monde possible"[2].

1 - **الموسوعة:** وهي الرصيد اللغوي والثقافي الضارب في السياق الاجتماعي، الذي يصطلح عليه ايزر "izer" بالذخيرة أو السِّجل " le répertoire" الذي يفترضه النص ويستحضره القارئ كي يستطيع المواجهة بين التمظهر الخطي لذلك النص وبين بنيته اللسانية، وبدون كفاءة "موسوعية" لا يمكن التعاون مع النص أو مساعدته على إنجاز مبتغياته ولا يمكن للقارئ أن يكون هو ذلك المشارك " coopérant" الفعال الذي يملئ الفراغات ويحمل التناقضات ويستخلص المقولات.[3]

2 - **الطوبيك:** أو الموقع المفترض: الطوبيك هو فرضية للقراءة، إنه ترسيمة عامة يستعين بها القارئ للولوج إلى عالم النص، ويحدده إيكو بالعبارات التالية:« إنالطوبيك أداة سابقة على النص، أو هو ترسيمة من عند القارئ»[4]، ويمكن القول ان الطوبيك نقطة خرساء بدئية داخل مسار تأويلي، فكل قراءة تنطلق من تصور أولي بشكل حدسي للمعنى من أجل تحيين مجموع الإمكانات الدلالية أو البعض منها ، ويعتبر الطوبيك أساسا من هذا التحيين في محاولة محاصرة شظايا المعاني المتولدة عن الإنفجارات الأولى من أجل ضبط السيميوزيس من أجل توجيه التحيينات.[5]

3 - **العالم الممكن:**«إنّ مفهوم العالم الممكن كما شرحه إيكو في كتابه "القارئ في الحكاية"، ضروري للحديث عن تخمينات القارئ وتوقعاته، فحينما يزاول القارئ وظيفته الحدسية فهو يبني سلسلة من المرجعيات الممكنة التي قد تتطابق مع إمكانيات النص، بمعنى أنه يتخيل عالما إفتراضيا يمكن أن يستوعبه النص، هو العالم الممكن الذي يعتبر محصلة الاستنباطات التي تسمح بها تجليات النص »[6]، وعليه فمفهوم "العالم الممكن" يشتغل باعتباره آلية من آليات القارئ على ثلاث مستويات:

---

[1]محمد خرماش، فعل القرءة وإشكالية التلقي ، مجلة علامات، ع: 100، 1998،ص:54.
[2]سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان،ط:01،1996،ص:54.
[3]أنظر المرجع نفسه،ص:54.
[4]المرجع نفسه،ص:103.
[5]ينظر سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص:103.
[6]ينظر، محمد خرماش، فعل القرءة وإشكالية التلقي ، مجلة علامات، ع: 100، 1998،ص:55.

أ – بما هو أداة ضرورية للقارئ الكفء.

ب –باعتباره مسجلا في النص.

ت –بتوجيه السلوك المقترح"propositionnel"لكائنات النص ومكوناته.

وهذا الفكر الجديد جاءت به مدرسة كونستانس الألمانية لإماطة اللثام على القارئ و فرضت نفسها كبديل منهجي، و منعطف جديد نحو تأسيس أفق مغاير في مجال التأويل، حيث سعت الدراسات إلى الانتقال من الوحدة إلى التعدد، من مركزية الرؤية إلى شموليتها، و من الفعل إلى التفاعل، ومن المعنى الأحادي إلى تعدد المعاني و خصوبة التأويل.

ليخلف "ياوس و إيزر" المنظور التفكيكي ،بجمالية التلقي و اعتبر النص غير متضمن لمعنى نهائي مطلق، بل يحتاج في تكوين الدلالة إسهام القارئ و هذا ما رفع من شأن "المتلقي" باعتباره العنصر المنسي في المقاربات النقدية السياقية كالدراسات التاريخية و الشكلانية، ثم تلتها الدراسات البنيوية التي ركزت على مبدأ المحايثةو جردت النص من كل الظروف الخارجية.

وهذه المقاربة الجديدة التي أعطت للنص طيفاً واسعاً من القراءات فتحت مجالا واسعا للتعدد حتى على مستوى القارئ نفسه،«فالقارئ عندما ينغلق على نموذجية نصية ما، لا يمكنه إلا أن يعيد إنتاج القراءة نفسها و إن تعددت النصوص التي تعيد إنتاج نص ما»[1].

و هذا التصور الجديد عَبَّدَ الطريق لتكريس الحضور الأكبر للقارئ،وجعله شريكا حقيقيا وفعَّالاً لإعادة القراءة وإنتاج النص، وهذا من مبادئ جمالية التلقي التي صهرت قطبي العملية ، قطب القارئ وقطب المؤلف، لتغدو وعياً واحداً للتماهي ، منتجا لنا لحمة التماسك بين الثنائيات (الحاضر والغائب)،(الماضي والحاضر)(الوفاء والحرية)،(الأحادية والتعدد)،(الانغلاق والانفتاح).

2. جدلية الأحادية والتعدد في الفعل القرائي

[1]سعيد يقطين، القراءة والتجربة ، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب،دار الثقافة(الدار البيضاء)، ط: 01، 1985ص:145.

تعتبر القراءة أحد مستويات التحليل الأساسية التي يطالب فيها الخطاب النقدي بحرية لا حدود لها ، فعندما يقرأ الناقد نصا إبداعيا ، فإنّه ينطلق من مشروعية إمكانية إعطائه التأويل الذي يراه أنسب صدقا وأكثر انسجاما،وعلى خطى هذه "الحرية المطلقة" تباينت الاتجاهات والآراء ،فطرف متمسك بأُحادية القراءة ويؤمن بالوفاء لمعنى النص الذي أعطاه له مؤلفه، وطرف ثانٍ ينادي بتعدد القراءة وحرية التأويل.

من هنا نريد أن نطرح إشكالية القراءة المتعددة التي تمارس على نص واحد، برؤى وإجراءات متعددة ، ومناظير متباعدة أو متقاربة ، ولكنّها تظلّ أبداً مختلفة.

فكل المساعي التي نهض بها المنظرون والنقاد، انطلاقا من الشكلانية الروسية انتهاءً إلى السيميائية أحالتنا إلى أحادية القراءة و واحديتها ، وهذا ما نجده مجسدا عند **بارت**الذي ينتمي إلى تيار أحادية القراءة، رافضا التعددية التي عدّها «مجرد مظهر خادع، فالقراءة الأولى لديه هي القراءة الحقيقية والكاملة والشرعية ، أمّا إعادتها فلا تعني أنها تنتمي إلى القراءة الأولى ، وإنّما تعني أنّها تتخذ لنفسها مسارا آخر» [1] فهو يعتبر أنّ النص يحمل معنى واحداً ونهائياً .

وقد دعّم هذا التوجه **غريماس** في بعض كتاباته المتمحضة للنص ، ورفض هو الأخير تعددية القراءة عادّاً ذلك السلوك ضرباً من التحيّز (القراءة المتحيّزة) " lecture partielle" وذلك حين يقرّر «إنّ من المقبول أن نصاً واحداً يمكن أن يشمل على جملة من تشاكلات القراءة ، ولكن على عكس هذا وحين يقع التوكيد على وجود قراءة جمعانية للنصوص، أي أنّ نصاً واحداً معينا يمنح عددا لا حدّ له من القراءات ، فإنّ ذلك يبدو لنا مجرد افتراض فجّ، بمقدار ما هو – في الوقت ذاته- غير قابل للتحقيق » [2]، فإمكانية التعدد عند غريماس مستحيلة ومنعدمة ، فهو يطالبنا بإغلاق النص أي بإلغاء كل القراءات الغيرية ، والتمسك بقراءة واحدة بحجّة أن تعددية القراءة تفضي حتما إلى التحيز والخروج عن القراءة الأولى، ويقصد بالتحيّز كما قال عبد المالك مرتاض:« إنّما يقصد بالتحيز إلى أنّه يطمع في وضع أصول للقراءة بحيث إذا تناولت نصاً لا يكون من حول تأويله اختلاف كما توضع الحلول المسبقة للمسائل الرياضية»[3].

---

[1] عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ط:01، 2003، ، ص: 67.
[2] المرجع نفسه، ص: 66،67
[3] عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة ، ص: 67.

وحسب القراءة التي أتى بها كل من بارت وغريماس يبقى المتلقي أو القارئ وفياً لروح النص، عكس ما ركّز عليه ياوسوآيزر في مفهومهما للتلقي ،اللذان اعتبرا أن القراءة من منظور هذه النظرية الجديدة "نظرية التلقي" تتجاوز معايير وقيم القراءات النموذجية السائدة ، وتعيد الاعتبار لأهمية القارئ بعد أن تهدمت الجسور الممتدة بينه وبين النص ومؤلّفه ،وتحاول انتاج طيف واسع من القراءات .

واذا أردنا الكشف عن مبررات هذا التعدد القرائي ،وأهم أسبابه ،فقد نحصرها في سببين رئيسيين هما:

السبب الأول: هو عملية التلقي التي ترتبط بكيفية حدوث الاستجابة للنص "المثير" ومن هنا تكون القراءة "الاستجابة" مستويات، فهناك المستوى اللغوي و النفسي والاجتماعي والتاريخي والحضاري و الأنثروبولوجي والأساطير ،ومن هذه المستويات تتعدد زوايا النظر إلى النص وتتعدد معها أشكال القراءة، فإنّ تعدد القراءة بتعدد مستوياتها.

السبب الثاني : يكمن في القارئ ،وهو ما ذهب إليه ياوس بالتمييز بين أصناف القراءة أو المتلقين إذ نجد:[1]

- **القارئ العادي.**
- **القارئ الناقد.**
- **الكاتب الناقد.**

ومن ثمّة فكل قارئ يتناول العمل الأدبي من منطلقات خاصة، وهذا ما يجعل من القراءة فعلاً مختلفاً ونشاطاً متجددًا بتجدد القراء، بل بتجدد القارئ نفسه، ومن جهة أخرى انّ القراءة هي في حقيقتها« نشاط فكري/لغوي مولد لتباين منتج للاختلاف ،فهي تتباين بطبيعتها، عمّاً تريد بيانه، وتختلف بذاتها، عمًّا تريد قراءته ، وشرطها ، بل علّة وجودها وتحققها أن تكون كذلك،أي مختلفة عمًّا تريد أن تقرأ فيه ، لكن فاعلة في نفس الوقت ومنتجة باختلافها »[2].

[1]علي حرب، قراءة ما لم يقرأ ، نقد القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: 6،1998،ص:42.
[2]ينظر المقال نفسه، ص:42.

فستظل قراءة النص أفضل منهج لتأويله، يعكف المبدع من خلالها على روح المدوَّن في النصوص ليكشف أسراره، ويسبر أغواره، فيتمكن من وصل ماضيه بحاضره،و بهذا الاتصال بين لحظة كتابة النص ولحظة قراءته ترتقي القراءة الى تفاعل بين القديم والحديث ، بين المبدع والمتلقي فتنشأ ابداعات وتأويلات لا نهائية [1].وقد أكد هذا عبد المالك مرتاض في أكثر من مرة ،على رفض الأحادية وأقرّ بتعددية القراءة حين قال :« لا ينبغي له أن يمتنع من قابليته لقراءات متعددة، بل القراءات لا تنتهي أبدًا حيث ثبت هذا بالتجربة والممارسة المتكررة كشأن ما نصادف في سيرة الشعر العربي القديم خصوصًا ، فقد مورست عليه قراءات كثيرة وبالرغم من ذلك وكأنّه لم يقرأ»[2] ،

3.أنواع القراءات:

إنّ النقد العربي أَولَى عناية كبيرة بمستويات متعددة للقراءة تختلف باختلاف وجهة نظر الناقد،فيما يجب أن تكون عليه قراءة النص فكانت محاولة تحديد أنواع القراءات الأدبية التي استخلصها نقاد العرب كالآتي:

1.3.القراءة القائمة على الحس:

عبد القاهر الجرجاني هو الذي لمّح لهذا النوع من القراءات، فضلا على ما ابتكره من آراء لدعم القيمة الحسّية و أثرها في تقبل النص إذ خلص إلى دور الحس و فاعليته في التأثير على المتلقي،يقول عبد القاهر:«و كذا تقول إذا همّ بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره و قلبه و قصر خواطره على إمضاء عزمه ولم يشغله شيء عنه فتحتاط للمعنى ببالغ ما يمكن ثم لا ترى في نفسك له هزه و لا تصادف لما تسمعه أريحية و إنّما تسمع حديثًا ساذجًا و خبرًا غفلاًحتى إذا قلت:إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه، امتلأت نفسك سرورا و أدركتك طربة (...) لا تملك دفعها عنك »[3]، وكان استخدام العين الحاسة المبصرة في تمثيل المعنى و تقريبه من القارئ، وقدرة الحسّ على إثارة المتلقي مشغلاً مهماً لعبد القاهر لأهميته في إغناء القراءة و تقريب المعنى و توضيح الفهم.

2.3. القراءة القائمة على الاعتدال:

[1]حسن مصطفى سحلول نظرية القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها،ص: 26.
[2]عبد المالك مرتاض ،نظرية القراءة، ص: 67.
[3]عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:115.

فهي قراءة تبحث بعناية كبيرة عن جمالية النص، إذ إنّ هذه القيمة لا توجد و تتكامل إلاّ من خلال المتلقي، فالمتلقي هو العنصر القارّ في كشف النص و معرفة أبعاده ، و دلالاته ،و يذهب ابن طباطبا العلوي لإظهار القيمة الجمالية للنص إلى مفهوم
التناسب،أي التناسب بين العقل و الحس في هذه القراءة، و العقل الذي يستعين بالحسّ لتمثل المعنى و الفهم هو الذي يميّز، يقبل أو يرفض.[1]

3.3.القراءة القائمة على المبالغة:

وهي قراءة يخرج فيها الكلام عن المعهود و ابتعاده عن الألفة، و نعني في هذا السياق موضع تأثير المبالغة في تكييف مسار القراءات ، وسبب هذه المبالغة راجع إلى كثرة الانزياحات

و الاستعارات كما قدَّم أبو بكر الصولي و ابن سنان قراءتين مختلفتين لبيت أبي تمام الشهير:

لاَ تَسْقِنِي مَاءَ المَلاَمِ فَإِنَّنِي   صَبٌّ قَدْ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ البُكَاءِ.

فكان الخلاف في ذلك مبنياً على تأويل الاستعارة في (ماء الملام) وهذا ما عابه ابن سنان على قراءة الصولي لما فيها من المبالغة،و يكاد حازم القرطاجني يلتقي مع ابن سنان حين عاب النقاد الذين«استحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيز الاستحالة »[2].

4.3.القراءة القائمة على الإيجاز:

إنّ من صفات القول البليغ الإيجاز و هذا الاتجاه من القراءات يفضل الإيجاز و يجعله فنًا بلاغيًا مهمًا ، لا سيما و أنّ الكلام العربي المأثور قائم كلُّه على هذا الفن ، غير أن بعض النقاد يميل إلى حدّ الوسط.

تتنوع القراءة و تتعدّد بحسب تعدّد مستوياتها من جهة، و حسب تعدد المتلقين و آليات قراءتهم من جهة أخرى.

[1]ينظر محمد المبارك، إستقبال النص عند العرب، ص: 190،191.
[2]محمد المبارك، استقبال النص عند العرب،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، المركز الرئيسي ، بيروت ط 1 ، 1999 ، ، ص:192.

فالقراءة تمثل مصير النص و مدى الإبداع فيه يكون في اللحظات الأولى مجرد انطباعات أو بالأحرى قراءة استكشافية سطحية،أيحس لغوي يتحرى البنية الشكلية ،التي تحكمها مرجعيات خاصة بالقارئ، تاليها قراء ة معمّقة تتبعها حالة تأويل وفق رؤية يحدّدها القارئ و هي محاولة للفهم الحقيقي للبناء الكلّي للنتاج الأدبي،مما دفع "تزيفتانتودوروف" "Todorov"يميّز بين ثلاث أنواع من القراءات هي كما يلي:

1. القراءة الإسقاطية :

نوع من القراءة عتيق و تقليدي،لا ترتكز على النص، تعامله كأنّه وثيقة تاريخية لإثبات القضايا المختلفة،فهي في الحقيقة محاولة إسقاط القارئ لذاتيتة على النص، وليس النص في هذه القراءة هو مركز الإشعاع بالمعاني والدلالات«كل شيء يبقى للقارئ أن ينجزه،ومع ذلك فكل شيء قد أنجز سابقا،لا يوجد العمل بالضبط إلاّ على مستوى قدرات القارئ،وبينما هو يقرأ و يبدع فإنّه يفهم أنّه يستطيع دائمًا أن يذهب بعيدًا في قراءته و أنّه لا يستطيع دائمًا أن يبدع بعمق أكثر»[1].

هي محاولة تسليط الذات على النص و محاولة الاستعلاء عليه وفرض قناعات مسبقة من طرف القارئ التي اكتسبها في محيطه الاجتماعي لينجز فهما كان يمتلكه من ذي قبل فهو اجترار و تكرار لدلالات النص.

2. القراءة الشارحة:

تلتزم القراءة الشرح بالنص،تأخذ منه ظاهره فقط، فهي تعمل على إعادة المكتوب بلغة مغايرة للأولى بنوع من التوسع دون التكلف بالإبداع و التجديد ،تلتزم بالنص و تأخذ منه ظاهر معناه فقط،و تعطي المعنى الظاهري حصانة يرتفع بها فوق الكلمات، بالشرح ووضع كلمات بديلة للمعاني نفسها أو يكون التكرار يجترّ الكلمات نفسها ،يعتبر النص فيها خلية حيّة تتحرك من داخلها مندفعة بقوّة لتكسر الحواجز بين النصوص.

و هذا النوع من القراءة يعمل على استعادة النصوص بشكل مخالف لأصله تقوم بتذليل مجاهيل النص، و توسيع جنباته نوعًا ما،بغية الوصول لحقيقة المكتوب دون الولوج في قعر النصو اكتشاف عوالمه الدلالية ،فلا يكتنفها خلق و لا إبداع و لا

[1]فولفغانغ إيرر، نظرية جمالية التجاوب في الأدب ، ترجمة، حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل،ص: 76.

عناء،فلا يتلذذ قارئها بالمتعة لكونها بعيدة عن عالم المكنونات ،و المعاني الخبيئة تطفو على البنية السطحية ممّا يسلبها التجديد و التجدد.

3. القراءة الشاعرية:

وهي قراءة النص باطنيًا من خلال فكّ شفراته في ضوء سياقه الفني،تسعى إلى كشف المكنون الغائر في النص و تقرأ فيه ما هو أبعد ممّا هو في لفظة الحاضر [1] التي تستدعي استعاب ما يقدمه النص من شحنات دلالية و إيقاعية و عاطفية و تعبيرية.

فهذا الضرب من القراءة يحاول التوغل في طبقات النص و التنقيب عن الدلالة الخفيّة التي لا تتأتى إلاّ بالمشقة والعناء،و يصبح القارئ فيها متمتعًا بإيقاعات النص و تعابيره ،فهي قراءة تأويلية تتطلع للكشف عن شبكة الدلالات الكامنة، التي تعتبر جهازًا إجرائيًا يتفرد بتفسير النصوص و الأحداث ويتصدى للمعاني الغامضة،الملغّزة الحدوث،البعيدة في الزمن [2] فهي تسعى دومًا إلى إظهار محتوى النص وكشف باطنه، وتقرأ فيه أبعد ممّا هو في لفظه الحاضر و ذلك من خلال فلسفة الحضور/الغياب .

ومن هذا يمكن اعتبار النوعين الأول و الثاني من أنواع القراءة التي جاء بها "تودوروف" واحدة ،وذلك لتقاربها في وظيفة القراءة (القراءة السطحية البسيطة)و تبقى القراءة الثالثة متفردة،فهي القراءة المعمّقة أو القراءة المنتجة«بينما القراءة في جمالية تتجه مباشرة لإدماج فعل الفهم مع بنية العمل الأدبي نفسه، و ترى أنّ تلك جدلية أساسية في أيّ قراءة »[3].

إن تقسيمات تودوروف للقراءة لا تكاد تختلف كثيرا عن تقسيمات عبد المالك مرتاض الذي يفرّق بين فرعين لمفهوم القراءة العام الشائع بين الناس:

1. **القراءة العقيمة:** وهي القراءة الإستهلاكية التي شاعت بين الناس ومنتشرة لدى معظم القُرَّاءْ، وهي القراءة التي صاحبها يتلقى مادّة ولا ينشأ منها مادّة أخراة[4].

---

[1] ينظر نصر عاطف جودة، النص الشعري ومشكلات التفسير،ص:25.
[2] ينظر عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، ص:190.
[3] ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي ،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1997، ،ص:129.
[4] ينظر عبد المالك مرتاض نظرية القراءة،ص:153.

2. **القراءة المنتجة:**وهي"القراءة المنجبة" قراءة متداولة بين النّقاد و الكُتَّاب،التي صاحبها يقرأ الكتابة ،ثم على هذه القراءة يكتب عنها،أو من حولها كتابة أخراة، فهي القراءة التي أنجبت عددًا ضخمًا من الشروح للنصوص الأدبية العربية القديمة ،و آلاف أسفار التفسير للقرآن الكريم.[1]

فهي منتجة لقراءات نقدية متعددة حسب مهارة القارئ الناقد وحسب ثقافاته و إيديولوجياته،تنجب بلا شك،كلما لامست رؤى القارئ الحصيف.

و هناك تقسيمات أخرى للقراءة حسب المجال التي تدرس فيه والمنهج الذي تتموقع في داخله مثل.

1. القراءة التاريخية:

هي التي تجمع بين الدراسة الأدبية و الدرس التاريخي، ظهرت مع وفود الثقافة العربية و التي كانت قد استنَّت لنفسها سننًا جديدة في منهجية الدرس التاريخي للأدب.

نشأت الحاجة إلى إعادة قراءة الموروث الأدبي العربي على ضوء منها ،فكان ما يُعرف "بتاريخ الأدب العربي"عنوانًا لأجيال من الدارسين وقسّموا تاريخ الأدب إلى عصور كالآتي:[2]

-العصر الجاهلي.

-العصر الإسلامي(صدر الإسلام)

-العصر الأموي.

-العصر العباسي.

-عصر الدول المتتابعة(العثمانية) إلى هذا العهد.

هذه القراءة ظلَّت منحصرة في بوتقة التاريخ، ولم تستطع الخروج إلى فضاء المناهج الغربية،فهيتتحرك في ثوب انتقائي جرّدها من الروح العلمية التي سعى التاريخ

---

[1]المرجع نفسه ، ص:153.154.

[2]ينظر حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص:48.

والأدب إلى لبوسها في مطلع هذا القرن ،و ابتعدت دراساتهم عن الصّلة الحميمية بإيقاع النصوص الأدبية .

فالقراءة التاريخية هي أقرب للتاريخ أكثر من دراسة النصوص الأدبية و تعمق في جنباتها الفنية و الإبداعية ممّا أرغمها للوقوع في مزالق قرائية..[1]

الاستقراء الناقص.

الأحكام الجازمة.

التعميم العلمي.

إلغاء الذاتية.

هذه المزالق هي التي أبقت القراءة التاريخية متحجرة في قوالب جامدة،تحمل صورًا شاذّة للأدب العربي ،زادت الهوَّة اتساعًا بين الدارسين و حقيقة الأدب و روحه.

2. **القراءة الاجتماعية:**

لقد بسطت القراءة الاجتماعية ظلالها على تخوم واسعة من المعرفة ،فكانت نقطة انطلاقها الفلسفة المشبَّعة بالإيديولوجية،وإن وعدت بالاهتمام بالجانب الفني،الذي سرعان ما تتناساه و هي تلهث وراء تحقيق الفرضيات و إثبات الآراء، أرادت لنفسها أن تكون قراءة فاحصة متشبِّتة، لا تُهمل الظرف التاريخي و لكنّها تتجاوزه إلى حقيقة الأدب مستخدمة في ذلك أهم انجازات المعرفة الإنسانية الحديثة،تعتمد على الثقافة الواسعة و روح "العلمية" و تفتح لنفسها باب التجدد و أمكانية المراجعة.

فهذه القراءة«لم تكن قراءة فرد واحدة و لكنّها تسعى إلى أن تكون قراءة - فريق- أو قراءة مجتمع، تتضافر من خلال الجهود و التخصصات لتعيد إنتاج و بعث الأدب من جديد»[2]،فالجهد الفردي في هذه القراءة غير مشبع بالمنهج فهو عاجز،لم يسجل إلا تطبيقًا رديئًا أساء للموروث الأدبي،لذا كان الانصراف عن الفردانية و التوجه إلى القراءة الاجتماعية.

---

[1] المرجع نفسه،ص: 49

[2] حبيب مونسي، القراءة والحداثة ، ص:51

3. القراءة الغائبة:

هي تعتبر قراءة غاب صاحبها، فهي قراءة المتأخّر للمتقدم عليه ،فيكتب من حولها،من أجل التأسيس على جهد سابقه و يبقى متنكرًا لا يعترف من الوجهة التوثيقية إلاّ نادرًا،بأنه أفاد من جهد الأول و تناص معه ،و أسّس عليه أو حام حوله[1].

وفي بعض الأطوار كان الأمر يبلغ درجة التداخل و التعاصر ،غير أنّ التصريح بإفادة المتأخر من المتقدم عليه كان في الغالب غائبًا و النماذج كثيرة في تراثنا النقدي، فكان هذا السلوك ضربا من التناص المبكر في تاريخ الأدب العربي .

4. القراءة التفكيكية:

هذه القراءة لا تبحث عن انسجام النص و ترابطه و لكنّها تسعى خلف تناقضات النص الداخلية و معارضاته و تسمى بالنشاط التهديمي فهي تقوم بتفكيك النص من أجل إعادة بنائه [2]، أي تفكيك النص للكشف عن داخله وإعادة تركيبه ، ومن ثمّة تركه بتماسكه الأصلي، ممّا يجعل التقويض بهذا المعنى شرحًا وتشريحًا للنص[3].

فديكتاتورية القراءة في حقل المقاربة التفكيكية، تستلزم استنطاق النص الأدبي وكشف المستور، و من هذا جاء التفكيك لينسف كل القواعد والقوانين ، ويعطي المدلول حرية اللعب الكامل منفصلاً عن الدال ويبيح للقارئ أن يفسر العلامة بالمعنى الذي يراه مناسبًا.

و الذين نظّروا لهذا الاتجاه من القراءات الفيلسوف "جاك دريدا" "DERIDA.J"اعتمادًا على الألسنية البنيوية و خصوصًا علم الأصوات (الذي يعتبر العلامة الصوتية هي أصغر وحدة غير دالة)تنشئ نفسها داخل نظام لغوي ، وهذه الأصوات تحكمها علاقات فيما بينها(تمايز، اختلاف معارضة) [4].

---

[1] ينظر عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، ص:81

[2] ينظر عبد الها الغدامي، الخطيئة والتفكير ، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج لساني معاصر، جدّة النادي الأدبي الثقافي 1985،ص:50.

[3] سعد اليازغي، تعالي المصطلح وانحناء التعريب، البحث قدم في ندوة الترجمة والثقافة العربية التي أقيمت ضمن فعاليات مهرجان التعريف الثقافي السابع،

[4] ينظر حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها،ص: 95.

وهناك مفاهيم موجودة خارج الألفاظ، إذ - الحضور- يعني أنّ العلامات ذات قدرة ذاتية أو أنّ قسمتها تكمن في قدرتها الكامنة على العمل خارج حدود اللغة[1].

هذا المنهج في القراءة يناقض كل المعارضة، نهج القراءة المركزية أو الهيرمينيوطيقية، فهو ينادي بقراءة تفكّك النص و تبعثره،و ينصح هذا المذهب القارئ بأن يَعبُرَ النص ببطء،و أن يقف طويلا عند أدقّ تفاصيله و جزئياته، فإنّ الكلمة المنخرطة في قواعد النص تبرز معاني كامنةو شبكات الدّلالة، و هذه الشبكات تشدّ القارئ مرّة أخرى إلى شبكات أخرى، و دلالات كامنة خلفهاو هكذا دواليك فهي تجهل المعاني و تحاول ملامسة ثنايا النص بظواهره اللغوية .

ومن الواضح أنّ المؤلف لا يكتفي بمعنى واحد للجملة التي يؤولها، و إنّما هو يتفحص كل مفردة بعينها،و يرصد كل معانيها الممكنة و يوازن بينهما.فالقراءة التفكيكية (التشريحية) تظلّلنا عن الدلالة المباشرة لأنّها تدلّ على التهديم و التشريح [2]، وللوصول إلى مستوى الدلالة العميقة ،تقوم التفكيكية بتفكيك الخطابات و النُظُم الفكرية ،و إعادة قراءتها بحسب عناصرها و الاستغراق فيهاوصولاً إلى الإلمام بالبؤر الأساسية المطمورة فيها[3]،لذا يرفض دريدا وهو الأب الروحي للنزعة

التفكيكية كل تقاليد القراءة ،ويقوم مبدؤه على الشكّ المطلق في كل شيء حتى أنّه يعدّ كل قراءة بالضرورة هي إساءة قراءة.

فتفكيكية دريدا هي قراءة عدمية تهدِّم القراءات السابقة دون أن تؤسِّس لقراءة جديدة بل لترمي المتلقي في بحر الشك المريب الذي لن يخرج منه إلاّ رافضًا مؤيدًا لتدمير كل شيء ،إنها ببساطة لذة العبث النقدي واللعب الحرّ داخل فضاء من التناقضات والثغرات، إنها نزوة العنف النقدي التي تستمد شرعيتها من الاستبداد الفكري في قراءة النص .

5. القراءة الظاهراتية:

[1] محمد عناني، المصالحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي عربيين مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،ص:138.

[2] ينظر كمال أبو ديب جدلية الخفاء والتجلي دار الملايين،بيروت 1979،ص:43.

[3] ينظر حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص:212،213.

هي ضرب من القراءات التي تتوقف عند ظاهر النص، و لا تغوص في قعره ،لا تتعدى البنية السطحية للنص فتجدها ترصد فيه جملة الأحداث و الأفعال دون أن تعالجها بالتحليل و النقد و إبداء الرأي فهي قراءة خطية تقتنع بما يعرضه سطح النص،ولكنّها محايدة لأنّها تثير سؤالا و لا تطرح إشكالا،فلا تستحسن و لا تستهجن. [1]

6. القراءة اللسانية:

هي قراءة تبحث عن العلاقة القائمة بين اللسانيات و الأدب و النقد و السيميائياتو الأسلوبيات ،و تبحث عن أفضل التقنيات اللسانية التي يمكن للأديب أو الكاتب أن يستخدمها ليكون عمله أكثر تأثيرًا و فهمًا في المجتمع،و هي تتسم بصفتين اثنتين [2]:

- تطبيق المقاييس العلمية على اللغات.

- استقلالية هذا العلم الذي له مبادئه، و قوانينه، وأنظمته الخاصة به.

إن اللسانيات الأدبية تبحث في بنية اللّغة و توزعها و تبحث في التقنيات الأسلوبية و السيميولوجية، التي يمكن للأديب أن يستخدمها من أجل التأثير الأدبي.

تعتبر القراءة اللسانية قراءات لا قراءة واحدة يمكن حصرها كالآتي :

أ - **القراءة البنيوية:**تنطلق من قعر النص و تلغي جميع العوامل الخارجة عليه ،فهي تفض النص من الداخل، بتحليل وحداته الداخلية وبتطبيقها لمبدأ المحايثة من أجل الوصول إلى العوالم الدلالية للنص .

ب - **القراءة البنيوية التوليدية:** تقع خارج النص،تستمد معطياتها من الحقول الإنسانية في نطاق المعرفة،تعطي الاعتبار للأثر الأدبي دون فصله عن المجتمع و التاريخ،تقوم على مبدأين هما:رؤية نصية داخلية ،و رؤية سياقية،و يضفي الجمع بينهما إلى الحقيقة النصية.

---

[1] ينظر عبد الله الغذيمي ، الخطيئة والتفكير،ص: 277.

[2] حبيب مونسي القراءة والحداثة،ص: 127.

ت - **القراءة البنيوية الأسلوبية:** تقف وسطًا بين القراءة البنيوية و التوليدية،تتوخى غايتين:الإمتاع و الإفادة،فيحقّق البناء الفني غاية الإمتاع، و يجسد المضمون الفكري غاية الإفادة،وهذا الطرح لا يتحقق إلاّ بعد تولّد علم الأسلوب عن البلاغة القديمة.

ج-القراءة السيميائية: تعتمد على السيمات من أجل الكشف عن شبكة الدلالات الكامنة في النص ،و تعد اللغة نظاما من العلامات أو السيمات.

7. **القراءة النفسية** : إذا كانت القراءة التاريخية قد أحالت القارئ، على الأحداثو تراكماتها،و أوقفته القراءة الاجتماعية على الواقع بتناقضاته فإنّ القراءة النفسية حاولت أن تدرك جانباً فوتته القراءتان ،ولم توله الاهتمام اللائق به فاهتمت بالمؤلف و أحاطت به تتملاه في زوايا ثلاث:[1]

-شخصيته (سيرته الذاتية).

-عملية الإبداع .

-دراسة العمل الأدبي.

القراءة النفسية تحاول استنطاق النص لتثري عناصر الشخصية و تشرح قواعد الخلق الأدبي فهي تلتفت إلى المبدع و تحاول البحث عن مكونات شخصيته،و إعادة تركيب صورته من جديد فهي تنطلق من خارج دائرة النص لا للكشف عن علاقة الأديب بالمجتمع فحسب بل تتجاوزها إلى المعرفة.

ويأتي الإبداع في هذه القراءة بدوافع نفسية تتعلق بالكاتب«الإبداع جوهره ليس إلا تنفيسا عن الصراع الذي يسكن الشخصية، وراء تفاعل آلياته المتعددة: من قمع(suppression) كبت(répression)، و تسام(sublimation)،و تبرير،و قلب (conversion)،و تقهقر وهي تفضي إلى أنواع شتى من السلوك »[2].

فقد رأى الناقد مصطفى ناصف في التحليل النفسي أداة فعّالة،إن هو خرج من الطّوق المرضي إلى رحابة المعنى النصي الخبيء،وكان مدعاة لآليات التأويل الخصبة التي توظف بحوث علم النفس في الشعور و اللاشعور، و الوعي و اللاوعي، و آليات الدفاع

[1] حبيب مونسي،القراءة والحداثة،ص:71.
[2] المرجع نفسه ، ص:80.

للوصول إلى كوامن المعنى وراء ظاهر النص لا في دلالتها على صاحب النص بل في ملاحقة الزمن [1]،لأنّ المعنى يأتي من النفس كحاجة أو رغبة لتجد ما يطابقها في النص فتتطابق معه «القراءة هي إيجاد ما ترغب فيه النفس في الخارج فتقع في وهم الحقيقة بمعنى تطابق الرغبة مع النص»[2].

إنّ مقاربة التحليل النفسي للنصوص الأدبية تنطوي تحت التيّار النقدي التأويلي،تدخلنا في عالم التلقي اللاوعي تاركة القراءة الواعية المدركة، وهذا ما نجده مجسدا في ميل القارئ لكتب الخيال أكثر من غيرها لا لشيء سوى أنّه يكتشف من خلالها بنى رغباته الاستيهامية الكبرى.

إنّ ما يدركه القارئ على غير وعي منه، هو تلك الثوابت النفسية ،وعليه فإنّ الآليات النفسية التي تتحكم في الإبداع و الخلق لا تختلف كثيرا عن الآليات النفسية التي تتحكم بتلقي النص و قراءاته ،كما أنّ العمل الأدبي يُبدع إرضاء لرغبات المؤلف الدفينة، وترجمة لها فإنّه يرضي كذلك رغبات القارئ الدفينة، ليوقض النص في أعماق قارئه الأحاسيس الخبيئة من حبور أو حزن أو قلق أو اشمئزاز أو ضجر، فهي ليست إلاّ صدى لما توقظه فينا أهواء الكاتب[3].

أمّا "روبير اسكرابيت" قد ميّز بين نوعين من القراءة من منظوره السيسيولوجي للأدب فجعلها قراءة عارفة و أخرى ذوقية:

8. **القراءة العارفة**:فهي قراءة تجاوزية،تنطلق من المقروء لتصدر عنه،متطلعة للظروف الحافة كاشفة عن خباياه،محلّلة أدواته،منقّبة عن مرجعياته التي تصنع قيمته الجماليةفهي تستير فعل الكتابة،و هذا ما أكّده بارت حين قال:أنّها تضمّ تحت فعلها لذّة النص و متعته في آن واحد[4].

9. **القراءة الذوقية:** فهي تعتمد على الذوق الأدبي،فلا تبارح الصنيع الأدبي حين تسجّل إعجابها أو عدمه،فتبقى مسألة الذوق الأدبي هي معيار الإعجاب و القبول أم التوجس و الخيفة و الرفض،و يبقى الذوق فيها نسبيا تحكمه جملة من المعطيات،و تتفرع عليها

[1]المرجع نفسه،ص:95.
[2]حسين حنفي، الهرمينوطيقا والتأويل، قراءة النص، ص:18.
[3]ينظر حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها،ص: 93،94.
[4]ينظر حبيب مونسي، بين القراءة والحداثة،ص:211.

القراءة المتماهية العاطفية الخاصة بالسلوكيات،فالقراءة الذوقية قراءة استهلاكية، شأنها شأن القراءات النفعية المطبقة على الكتب المهنيةو الوظيفية [1]، إلاّ أنّها تُبقي الذوق المرجع الأساسيلتقبل هذا الموقف أو تشيب ذاك السلوك.

القراءة ليست عملية آلية بسيطة ،بل هي فعل متقلب،و متغير عبر الزمان و المكان،تعتبر عملية مركبة تسقط الذات القارئة بحمولتها المعرفية،القبيلة و الاعتقادية و الظرفية و الإيديولوجية على المكتوب، فلا ترى فيه إلاّ من خلال عدستها المشحونة بعوامل شتى يتراوح فيها العامل النفسي الآني و العامل الاجتماعي و العامل التاريخي و الاقتصادي و السياسي و الديني.

القراءة و حدها كافية أن تعطيك مضمونا و روحا و هي وحدها القادرة على تحديد مضامينه، لأنّها عمل إنساني منذ تدوينه الأول حتى قراءته الأخيرة التي لن تكون و إن طلبت ،لأن الدلالات تتغير و تتجدد بأفعال القراءة و معطيات العصر.

وبعد كلّ هذا المسح المتباين لمختلف القراءات و على اختلاف زوايا رؤاها و مستوياتها،يأتي النقد الجديد في الثقافة الأنجلوسكسونية الذي اهتم باستكشاف الأعمال الفنية عموماً و الأدبية على حدّ الخصوص،الذي أقصى القراءات الكلاسيكية مصطنعا مصطلحي القراءة المحكمة و المتواترة،فهي التي تقرّ بأنّ القارئ لا يصل إلى الفهم المحكم إلاّ بعد تواتر القراءات، لأنّ القارئ لا يبلغ أسرار النص في القراءة الأولى إلاّ إذا رجع مرة ثانية إلى النص نفسه ليفك رموزه ويستخرج دلالته،فهكذا تضلّ القراءة سيرورة و اتصال دائم التجدد، لا تحكمها حدود النظرية، و مهما يكن من أمر فإنَّ العملية وسائطها عديدة و لن تؤول إلى نهاية إلا بنهاية الفاعل فيها(القارئ).

كما يُقرُّ عبد المالك مرتاض على أنّ القراءة قراءات ،إذ يلتفت إليها ليجعلها ألوانا [2] و يميّز بين ثلاث ضروب من القراءات:

القراءة التقويمية،القراءةالتأويلية،و القراءة التقريرية.

1. القراءة التقويمية:

---

[1] المرجع نفسه،ص:211،212.

[2] ينظر حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتطور، منشورات الاختلاف للنشر والتوزيع، 2001،ص:153.

هذه القراءة تقوم على أساس التقويم،تعتبر القارئ منتجاً للنص و ليس مستهلكاً «لا ينبغي لها أن تكون مرادفة للاستهلاك السيئ،و إنّما ينبغي لها أن تسعى بكل ما تملك إلاّ ما أن تنشئ من خلال نفسها عبر ذاتها و في دائرة محيطها الذي إن شاءت فتحته فأحالت، وإن شاءت أغلقته تغليقا فتبنت كتابة أخراة،فإنّما القراءة كتابة»[1].

فإنّ القراءة المنتجة هي التي تنبثق من لدن قارئ متشبع بمعارف قبلية أو كما سماه إيزر"الذخيرة" لكي يستطيع معاشرة النصوص فيكسبها الفرادة و الاختلاف ،لأنّ القراءة اندماج في النص، حينها يتم الفهم المرتبط بالقراءة و الكتابة التي تعد قراءة من نوع خاص ليس فيها من التكشف إلاّ بمظهر الغنى المعرفي.

2. القراءة التأويلية:

إن هذه القراءة باطنية لا استهلاكية، لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال دخول القارئ في علاقة بالمقروء، من أجل إنتاج الدلالة ومسايرة الكتابة، باستظهار المعنى المبهم والدلالات الخفية فهي لا تعرف مساراً واحدًا، بل تنفتح على طيف من القراءات، تحاول جاهدةً في كل مرة استحضار الغائب بواسطة النص الحاضر.

3. القراءة التقريرية:

هي قراءة لغوية لا تتعدّى دلالة الجملة، ينبثق المعنى فيها من لَدُنِ المؤلف، فهي لا ترتقي إلى الخوض في غمار النص الأدبي، لتجرُّدِها من الإجراءات والممارسات التي تكشف عن مكامن الجمال ومراميه الفنية و إحاءاته المستترة، وهذا ما أكّده عبد المالك مرتاض « كثيراً ما نادينا بضرورة رفع ايدي علماء اللغة عن الأدب، على الرغم من أنّنا نعترف بأنّهم لا يستطعون ان يفعلوا شيئاً خارج إطار هذا الأدب(...) إنّ عالِم النحو أو عالِم اللغة إذا استحال إلى مؤوِّلٍ للإبداع الأدبي، لا ينبغي أن يكون لسعيه هذا نجاح يذكر أو فلاح يُؤثر»[2].

القراءة تفاعل بين النص والقارئ

---

[1] المرجع نفسه،ص:153.

[2] عبد المالك مرتاض، القراءة بين قيود النظرية وحرية التلقي، مجلة تجليات الحداثة،ع: 04، وهران:1994،ص:27.

إنّ التأويل شكل محدد للتفاعل بين المتلقي والنص،مما جعل الدارسين يميزون بين مستويين اثنين للتفاعل هما :

أ- تفاعل المتلقي بالباث :تواصل

ب- تفاعل المتلقي بالنص :تأويل

الذي يهمّنا في دراستنا التفاعل الثاني **(تفاعل المتلقي بالنص)** وكيف يصبح التفاعل آلية من آلية التأويل ،تجعل وعي القارئ يتماهى مع بنية النص من أجل إنتاج جديد أو بالأحرى قراءة جديدة للنص .

وفي الحقيقة أن بحث ايزر في العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص ،كان هذا سعيا منه الى معرفة الصفات التي يضمها النص والتي تؤثر في قراءتنا ،وبحثا- في الوقت نفسه –في ظاهرة القراءة كونها العامل الجوهري في فهم النص ، ان هدف ايزر المقتنع بالفلسفة الظاهراتية "الفينومينولوجيا" هو الخلاص من عقدة التقابلات المفروضة دوما في دراسة النصوص ، "النص والقارئ" "الموضوع و الذات" "الادبية والتقريرية"..وغيرها[1]

وحين يتحدث فولفغانغ آيزر ISER عن التفاعل بين النص والقارئ فإنّه ممّا يذهب إليه على أنّ النماذج النصية تحدّد أو تحصر كأحد أقطاب POLES العلاقة التي تتأسس S'INSTAUR في التواصل، وإنّ بنية النص وكذا فعل القراءة هما إذاً بنيتان متكاملتان لإفساح المجال أمام التواصل ،ويحدث هذا الأخير عندما يصير النص مترابط العلاقة في وعي القارئ ،وهذا التحول للنص على مستوى القارئ غالباً ما يعتبر كعملية يتكفل بها النص وحده، حتى وإن كان هذا التحويل حقيقة لا يحصل إلا بوساطة النص، الذي يشكل فضاء للتماهي و مسرحا فسيحا للتفاعل [2]،فإذا كان المؤلف يتحرك توليدياً بخلقه لنص غامض ،تغمره البياضات والفراغات ،وفي المقابل يتحرك القارئ تأويلياً لفكّ النص وغموضه من خلال ملء هاته البياضات والفراغات،فتتصادم إستراتيجيتان نصيتان :استراتيجية المؤلف واستراتيجية القارئ ، مولداً لنا تفاعل ،الذي بدوره يخلق لنا قراءة جديدة أو تأويلاً.

---

[1]ينظر ،محمد بن احمد جهلان،فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ،دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا،ط1،2008،ص:37

[2]ينظر عبد الجليل مرتاض ،الظاهر والمختفي ،طروحات جدلية في الإبداع والتلقي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 2005،ص،100

ويرى آيزرأن مقولات " الاحتمال" و"اللاتماثل" و"اللاتناسق" و"اللاتحديد" و"البياضات " و" الفراغات" و"طاقات النفي "ما هي إلاّ عباراتٍ تدلّ على تنوعها على ما يسميه آيزر "الفراغ الباني" ،والتي تنبني عليه العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ وهذه التفاعلية بين النص والقارئ ،هي التي تجبر القارئ على ملء الفراغات والبياضات وصنع المعنى ليتحول النص من موضوع إلى سلوك القراءة يقول"أنجاردين"« ربما تكون أهم فعالية للقراءة هي المتمثلة في ملء فراغات الغموض بالتجسيم ، ففي التجسيم تكون للقراءة فرصة لممارسة الخيال، فملء الأماكن الغامضة يحتاج إلى إبداع »[1]،حتى تصبح القراءة بعد ذلك إبداعا حقيقيا، في إطار ما يسميه إيكو "التشارك النصي "COOPERATION EXTUELLE".

وحتى يصف آيزر هذه العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ ،فإنّه عدّد كثير من المفاهيم المساهمة في بناء هذه العلاقة ،في مقدمتها "القارئ الضمني" LE LECTEUR IMPLICITEباعتباره فرضية متضمنة في النص ،وبهذا التصور يتوضح أن مفهوم القارئ الضمني يقترب من مفهوم القارئ النموذجي عند إيكو من حيث كونهما محفلين نصيين وهذا هو شرط التوتر ،الذي يعيشه القارئ عندما يقبل دوره .

نقطة الانطلاق عند آيزر هي البحث عن كيفية أن يكون للنص معنى لدى القارئ ،والمعنى هنا ليس المعنى الجاهز والمختبئ في النص ،بل المعنى الذي ينشأ نتيجة للتفاعل بين النص والقارئ أي بوصفه أمراً يمكن ممارسته .

إن آيزر يجد العلاقة بين النص والقارئ على ثلاثة أقطاب متشابكة ،ولا يمكن لأحدهما أن ينفصل عن الآخر.

النص ــ القارئ ـ تفاعلهما

وقد أعاد تعريف الأدب بأنه ذلك الكائن الذي لا يتحقق وجوده ومعناه إلا في عقل القارئ ،وأعاد تعريف النص ليصبح العامل المساعد الذي يقيم العلاقة ليس بين

[1] المرجع نفسه ،ص24

القارئ والكاتب مباشرة، كما كان معروفا ، بل بين القارئ ونشاطه الذهني التأويلي ،فالقسمة إذا ليست بين الذات والموضوع ، ولكن بين الذات ونفسها[1]

وبهذا تغدو القراءة التفاعلية مبتعدة عن الحركة الخطية ،والشؤون التراكمية نافية المسافة بين القارئ والنص ،داعية إلى التماهي بغية إنتاج المعنى وإظهار دلالاته الخفية ، فهي«تقوم على دمج وعينا بالنص ، وهذه حقيقة تاريخية ،تقوم على أساس التفاعل بين "فعل وبنية "ولعل نظريات الظاهراتية في القراءة أكثر دقة من غيرها في هذه الناحية ،لأنها تضمّ "الفعل والبنية "في إطار فكرة واحدة هي القصد، لكن اللفظ في هذا السياق ليست مرادفة للرغبة فيما أراد أن يقوله المؤلف ، بل إنها تحدد فعل الوعي وبنيته على أساس مبدأ القصدية »2.

وتأسيسًا على ما تقدم ينبغي العدول عن القراءة الأحادية التي تفرض الوفاء لروح النص ،و معنى مؤلفه ،ومحاولة التمسك بالتعدد القرائي ، و حرية التأويلوالإنفتاح، ما يضمن ديمومة القراءة واستمراريتها، وهذا ما يكسب النص صرمديته ،وبقاءه الأزلي ،مادام هناك قراء يعيدون إنتاجه من جديد ،بملء فراغاته وإعادة تحيينه من جديد، وفي كنف هذا التفاعل القرائي ،يثبت القارئ سلطته وشخصيته من جهة ،ويضمن النص حياته وبقاءه من جهة أخرى ،وتغدو القراءة تفاعل وتماهي ودمج منتج بين أفق القارئ ومجرى النص ، وهذا ما يسمى بالقراءة المنتجة أو القراءة التأويلية .

قائمة المصادر والمراجع

ابن منظور،لسان العرب،تحقيق :عامر احمد حيدر،عبد المنعم خليل إبراهيم ،دار الكتاب العلمية،المجلد 19،ط:01،2003،

الواد حسين ،في مناهج الدراسات الادبية ،منشورات الجامعة التونسية ،كانون الثاني ،عام 1984،

حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتطور، منشورات الاختلاف للنشر والتوزيع، 2001،

سعد اليازغي، تعالي المصطلح وانحناء التعريب، البحث قدم في ندوة الترجمة والثقافة العربية التي أقيمت ضمن فعاليات مهرجان التعريف الثقافي السابع

[1]سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان،ط:01،1996،

سعيد يقطين، القراءة والتجربة ، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب،دار الثقافة(الدار البيضاء)، ط:01، 1985

---

[1]ينظر ،محمد بن احمد جهلان، فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ،دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا،ط1،2008،ص:37

[2]عبد المطلب محمد ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر ، 1995،ص:225

عبد الجليل مرتاض ،الظاهر والمختفي ،طروحات جدلية في الإبداع والتلقي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر2005،
عبد السلام المسدي، اللسانيات، وإبستيمية النقد، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ع 32،مارس1997،

عبد الهل الغدامي، الخطيئة والتفكير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج لساني معاصر، جدّة النادي الأدبي الثقافي ،1985

عبد المالك مرتاض، القراءة بين قيود النظرية وحرية التلقي، مجلة تجليات الحداثة،ع:04، وهران:1994،

عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة.، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ط:01، 2003،

عبد المطلب محمد ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1995

علي حرب، قراءة ما لم يقرأ ، نقد القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع:1998،6

فولفغانغ إيرر، نظرية جمالية التجاوب في الأدب ، ترجمة، حميد الحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل

محمد المبارك، استقبال النص عند العرب،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، المركز الرئيسي ، بيروت ط 1 ، 1999

محمد بن أحمد جهلان ،فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القراني ، دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا، ط1،2008

محمد خرماش، فعل القرءة وإشكالية التلقي ، مجلة علامات، ع: 100، 1998،

محمد عناني، المصالحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي عربين مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان.

ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي ،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1997

ينظر،محمد بن احمد جهلان، فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ،دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا،ط،2008،

محمد بن احمد جهلان،فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ،دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا،ط1،2008،

كمال أبو ديب جدلية الخفاء والتجلي دار الملايين،بيروت 1979

Todorov ,tzfitan ,la lecture comme construction ,don les genres de discouR ,paris,seuil ,1978,poetique